

**النظريات العقدية  
تفسير اساس نشأة السلطة في الدولة**

**ا.م.د. كاظم علي عباس**

**ا.م.د. مهند ضياء عبدالقادر**

تقيم النظرية العقدية اصل نشأة الدولة على العقد الاجتماعي، على اساس ان الدولة وسلطتها مصدرهما الشعب .

ولهذا لا تكون الدولة وسلطتها الحاكمة مشروعيتين الا اذا كانتا وليدتي الارادة الحرة للجماعة التي تحكمها .

ولذلك تنبذ هذه النظريات فكرة القوة كاساس لقيام الدولة، وترى ان اصل الدولة ومصدر السلطة هما الشعب .

وهذه النظرية معروفة في التاريخ منذ ان نادى بها فلاسفة اليونان، وكان "ابيقور" اول من دعا الى هذا الاتجاه، تلاه بعض رجال الدين في اوربا كما استغلتها الكنيسة في القرن السادس عشر لتقيد سلطة الملوك الزمنية .

ولقد برزت هذه النظرية في القرن السابع عشر وفي القرن الثامن عشر ووجدت من يدافع عنها امثال "هوبز" و "لوك" و "روسو" وقد اتفقت النظريات التي قال بها هؤلاء المفكرون على ارجاع نشأة الدول الى فكرة العقد الاجتماعي، وان الافراد قد انتقلوا من الحياة القديمة التي لا يرغبون العيش فيها الى حياة الجماعة السياسية المنظمة بموجب العقد .

وما عدا ذلك اختلفوا فيما بينهم، نظرا لاختلاف التصورات الخاصة بكل نظرية بشأن الامور الاتية :

حالة الفطرة السابقة على العقد.

اطراف العقد.

النتائج المترتبة على عملية التعاقد.

وسوف نعرض لوجهة نظر كل من المفكرين الثلاثة، وعمما قاله كل من هوبز ولوك وروسو بشأن الاصل التعاقدي للدولة، ولكي تتضح كيفية قيام الدولة على اساس العقد الاجتماعي، وذلك في

ثلاثة مطالب متتالية، وهي كل من :

نظرية العقد الاجتماعي عند هوبز

نظرية العقد الاجتماعي عند لوك

نظرية العقد الاجتماعي عند روسو

## المطلب الاول

### نظرية العقد الاجتماعي عند هوبز

يرى هوبز ان اصل وجود الجماعة المنظمة تكمن في العقد الذي نقل الافراد من حالتهم الفطرية غير المنظمة الى مجتمع منظم، يتكون من فئة حاكمة واخرى محكومة، كما كان له تصور خاص بالنسبة لحالة الافراد الاولى قبل دخولهم في الجماعة المنظمة لاطراف العقد الذي تم بموجبه انتقال الافراد الى ذلك المجتمع، وكذلك لمضمون ذلك العقد ثم لاثارة .

لقد صور هوبز حالة الفطرة في اطار العنف والصراع بين الافراد، فأراد الافراد الخروج من هذه الحياة الفوضوية والانتقال الى حياة اخرى افضل تتميز بالامن والاستقرار، فاتفقوا على ابرام العقد ليعيشوا في سلام .

اما بالنسبة لاطراف العقد، فقد قال هوبز بان هذه الاتفاق او العقد قد تم بين جميع الافراد ما عدا شخصا واحدا، حيث اتفق عليه المتعاقدون على ان يكون هذا الفرد هو صاحب السلطة الامرة ورئيسها .

اما عن مضمون ذلك العقد فيرى "هوبز" بان الافراد قد تعاقدوا على ان يعيشوا معا تحت امرة شخص واحد، ينزلون له عن كل حقوقهم الطبيعية، ويوكلون اليه امورهم والسهر على مصالحهم وصيانة ارواحهم وهذا النزول تم من جانب واحد، بمعنى ان الحاكم لم يكن طرفا في العقد ولم يلتزم من ناحيته بشيء .

ولهذا تكون سلطة الحاكم مطلقة، وذلك لانه غير مسؤول امام الافراد ومن ثم لا بد ان تقابل تصرفاته بالطاعة والخضوع من جانب الافراد، والاعدوا خارجين عن الاتفاق وكافرين بمبادئه . وواضح من هذا ان "هوبز" يؤيد الحكم المطلق للحاكم، حيث جعله غير مقيد بالعقد، وكذلك غير مقيد باي قانون، اذا جعله هو الذي يضع القانون ويلغيه حسب هواه، اي ان القانون اصبح اساسه ارادة الحاكم .

ولقد كان العقد من كل هذا تبرير سلطة الحاكم المطلق في بريطانيا في ذلك الوقت، حيث كان هذا الفقيه يعيش بين احضان العائلة الحاكمة .

## المطلب الثاني

### نظرية العقد الاجتماعي عند لوك

كان لوك من انصار الملكية المقيدة لا المطلقة، وقد ترك هذا طابعه على افكاره في فكرة العقد الاجتماعي .

فقد كان يرى ان حالة الافراد الفطرية السابقة لانتقالهم الى حياة المجتمع المنظم كانت تجري على القانون الطبيعي، بحكم كونهم جميعا احرار متساويين، والتزموا تبعا لذلك بان لا يتعدى احدهم على حياة الاخر او على حريته او على ماله.

لذلك لجأوا الى التعاقد هما كل من الافراد والحاكم، وترتب على ذلك التزام الحاكم باقامة السلطة التي تحميهم وتوفر لهم الحاية الافضل مقابل القدر الذي تنازلوا عنه من حقوقهم. فاذا تنصل الحاكم من التزاماته والقيود المفروضة عليه في العقد، وقام باستعمال سلطته المطلقة، فانه يحق للافراد الذي تعاقدوا معه بالخروج عن طاعته .

ولهذا لا يرى لوك في ذلك العقد مبررا لاقامة سلطان مطلق. بل على العكس يفرض على كل من الحاكم والمحكومين التزامات متبادلة، ويعني للحاكم سلطة محددة هي الحماية والامن والمحافظة على حقوق الافراد لا في العبودية والاستبداد، وذلك لانه يرى بانه توجد حقوق للافراد سابقة على التعاقد، وهذه الحقوق لا يمكن التنازل عنها، من ثم تنقيد بها السلطة حتماً .

### المطلب الثالث

#### نظرية العقد الاجتماعي عند روسو

يتفق روسو مع كل من هوبز ولوك بان انتقال الافراد من حياة الفطرة الى حياة الجماعة قد تم بمقتضى عقد اجتماعي .

فبالنسبة بحالة الافراد في حياة الفطرة الاولى راي روسو ان الانسان يتمتع بحرية كاملة واستقلال تام، وانه كان سعيداً في حياته، وان الذي اضطر الافراد الى التخلي عن حالتهم الاولى هو تعدد المصالح الفردية، وتعارضها مع ازدياد وحدة المنافسة بين الافراد، ففسدت المساواة الطبيعية التي كانوا ينعمون بها في حياة الفطرة الاولى، وشقت عليهم حياتهم نتيجة قيام التنافر بينهم.

ولهذا تعاقد الافراد على انشاء مجتمع سياسي جديد يخضع لسلطة عليا، وبذلك وجدت الدولة مستندة الى العقد الاجتماعي الذي ابرمه الافراد .

ولكي يكون الاتفاق او العقد الاجتماعي الذي ينقل الافراد الى حياة الجماعة صحيحا ومشروعا، لابد ان يصدر على اجماع الارادات الحرة والواعية للافراد المكونين لهذه الجماعة . اما بالنسبة لاطراف العقد الاجتماعي، فيرى روسو ان الافراد انما يبرمون العقد مع انفسهم على اساس ان لهم صفتين الاولى كونهم افراد مستقلين ومنعزلين كل منهم عن الاخر، والثانية كونهم افراد متحدين يظهر من مجموعهم الشخص الجماعي المستقل الذي يمثل مجموع الافراد .

ولهذا فان الحاكم ليس طرفا في العقد، وانما هو وكيل عن الارادة العامة، يحكم وفقاً لارادتها، وليس وفقاً لارادته هو، لذلك فان للارادة العامة حق عزله متى ارادت .

اما بالنسبة لمضمون العقد فقد ذهب روسو الى ان الافراد قد تنازلوا بمقتضى هذا العقد عن جميع حقوقهم دون تحفظ لصالح المجموع .

الا ان هذا التنازل تقابله استعادة الافراد حقوق وحرريات جديدة تتفق والمجتمع

الجديد، تقررها الارادة العامة يفترض وجود هذه الحقوق والحريات لانا ما وجدت الاحمايتها. وبذلك يسود العدل، ويتمتع كل فرد بحقوق وحريات متساوية، ويقف كل منهم على قدم المساواة مع الاخر.

اما عن اثار هذا العقد فيرى روسو انه لما كان اصل الدولة والسلطة ارادة الجماعة اي الاتفاق الجماعي الذي تم بين جميع الافراد، ولما كانت السلطة مردها الارادة العامة، ويعبر عن ارادتها، ولذلك ليس هذا الحاكم ليس هذا الحاكم الا وكيلا عن الارادة العامة، ومن ثم يكون للافراد حق عزله، اذا ما استبد بالسلطة او مس حقاً من حقوق الافراد .

### تتمين فكرة العقد الاجتماعي:

لقد وجهت الى النظرية العقد الاجتماعي انتقادات عديدة منها :

-ان فكرة العقد الاجتماعي فكرة خيالية، وغير صحيحة من الناحية التاريخية، فلم يقدم لنا التاريخ امثلة لدول نشأت عن طريق العقد.

-ولهذه فان هذه النظرية تقوم على افتراض خاطيء، الا وهو ان الفرد كان يحيا حياة عزلة قبل قيام الدولة، وهذا غير صحيح، لان المجتمع حقيقة قائم قبل قيام الدولة بفترة طويلة جدا . وبالرغم من كل هذا فقد لعبت نظرية العقد الاجتماعي دوراً هاماً في نشأة المذهب الفردي، واليه يرجع نظام الاستفتاء الشعبي، ولهذا كان لها الفضل الكبير في ترويج المباديء الديمقراطية، وتقرير حقوق الافراد وحرياتهم .

وقد سجلت هذه المباديء النظرية في دساتير عصر الثورات، فاصبحت نصوصا وضعية، عد انها أثرت في التكوين الفكري لرجال الثورتين الفرنسية والامريكية.